عرفت أرض البطانة الحالية ، وخاصة الأجزاء الغربية منها ، عند كتاب الإغريق والرومان بجزيرة مروى ، نسبة لوقوعها بين نهرى العطبرة والنيل الأزرق • وسوف تقصر هذا المقال على دراسة الحالة الإستيطانية والعمرانية Settlement pattern لهذه المنطقة إبان فترة حضارة مروى القديمة ، والتى تبدأ ، حسب التأريخ التقليدى ، فيما قبل القرن الثامن قبل الميلاد ، وتنتهى فى أواخر القرن الرابع الميلادى ، أو بعده بقليل • وقبل ذلك التاريخ ، تابع مؤسسو مملكة مروى الأوائل النيل إنحدارا ، وبسطوا سلطانهم على منطقة « كوش » فى النوبة ، ثم ضموا إليها مصر ، فى القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد • ولكنهم بعد حكم دام قرنا تقريبا ، فقدوا مصر أثناء الصراع العالمى الذى قادوه ضد الآشوريين ، حكام العراق قبل الفرس • ومن ثم إكتفوا بتوطيد حكمهم على بقية مناطق السودان ، بما فيها أرض البطانة والتى إخترناها موضوع دراسة منفردة فى هذا المقال •

بعد هذا التحديد الجغرافى الزمنى الموجز ، سنحاول تحديد المنهج الذى سنطرقه فى هذه الدراسة وتبسيط الطريقة التى سنعالج بها موضوعنا • فالمادة التى سوف نخضعها للدراسة هنا والشواهد التى سنسردها هنا هى حصيلة عملى الحقلى الذى أقوم به منذ خمس سنوات مضت • فهى دراسة ميدانية ، إعتمدت فيها على الملاحظة المباشرة خلال الزيارات والرحلات العديدة التى قمت بها فيما بين سنوات ١٩٦٦ ــ ١٩٧٠ • ويطيب لى هنا أن أشكر جامعة الخرطوم التى هيأت لى تلك الفرص • وكذلك إعتمدت على خلاصة الحفريات والإستنتاجات ، على قلتها ، التى نشرت حتى الآن • أما الطريقة التى سوف نعالج بها هذه الدراسة فهى تعتمد على دراسة التجمعات السكنية لإبراز

خصائصها وطبيعة الصلات التى كانت قائمة فيما بينها • كذلك تعنى بإجراء دراسة مقارنة لتحديد نوع الصلة التى كانت قائمة بين هذه التجمعات والتجمعات الإستيطانية الأخرى خارج نطاق هذه المنطقة ، والتى من المحتمل أن تكون قد أثرت فيها أو تأثرت بها • أما الجانب الآخر فهو تأثير البيئة الطبيعية والجغرافية العامة على قيام هذه التجمعات •

لقد ظلت الدراسات الحضارية فى السودان ، على قلتها ، ودراسات الحضارة المروية خاصة ، حبيسة نظرة ضيقة مكررة ومحدودة تعتمد دائما على ما كتبه الملوك من أخبار غزواتهم وانتصاراتهم • أما فى هذه الدراسة سنحاول الخروج من هذه الحلقة ، خاصة أن المخطوطات المروية (١) (سواء المكتوبة بالخط الهيروغليفى المصرى القديم أو بالخط المروى) قليلة العدد ومازال أغلبها يضن بمكنونه • وإنا لنأمل أن تتمكن من الوصول إلى بعض الإستنتاجات العامة التى قد تفيدنا فى تحديد الحالة الإجتماعية والسياسية والإقتصادية فى تلك الحقبة من الزمان •

* * *

فكما أثر نهر النيل تأثيرا كبيرا على قيام الحضر والعمران على شاطئيه ، وأثر فى تكييف الحضارات التى إزدهرت داخل الوادى ، كذلك كان للمناطق الأخرى ، ومن ضمنها أرض البطانة ، موضوع دراستنا هذه ، تأثير مباشر على تكوين الوحدات الإستيطانية التى قامت أيام مملكة مروى (٢) ، فصبغتها بكثير من السمات الخاصة بها والتى جعلتها مميزة عما هو جار على شاطىء النيل • ولكن قبل أن نتطرق للحالة الإستيطانية بأرض البطانة ، لابد لنا من أن نتناول ، ولو بشىء من الإيجاز الشديد ، وصف الحالة الإستيطانية على جانبى نهر النيل فى نفس هذه الفترة الزمنية الحضارية ببعض التوضيح حتى تكتمل الصورة وتتضح المقارنة (٣) •

ففى النوبة السفلى ، شمالى الشلال الثانى وحتى منطقة وادى العلاقى ، شيد المرويون سلسلة من القلاع على قمم الجبال وفى مواقع إستراتيجية هامة،

---

١ ــ بحث المؤلف لنيل درجة الدكتوراه بجامعة كمبردج ، انجلترا سنة ١٩٧١ : « نشوء المعمار المروى وتطوره » .

٢ ــ المرجع السابق للمؤلف .

٣ ــ المرجع السابق للمؤلف .

مثل قصر إبريم (١) ، وجبل عدا (٢) • كما أقامـوا مجمعات سكنية محصنة كقصر كرنج (٣) ، وفرس (٤) ، وميناوتى (٥) وغيرها الكثير • ولايخفى أن السبب الأساسى لقيام مثل تلك التجمعات الإستيطانية إنما كان هو الحماية العسكرية للحدود الشمالية أولا ، ثم الفوائد التى تجنى مـن تسهيل طـرق التجارة مع مصر (٦) ثانيا •

أما فى النوبة العليا ، وتشمل منطقة دنقلا وكريمـة ، أو ماتعرف قديما بمنطقة « كوش » وفيها مدينة « نبته » ، فقد قامت منذ فجر الحضارة المروية الأولى فى القرن الثامن قبل الميلاد المدائن الواسعة والمراكز السكنية المتعددة والتى كانت مراكز دينية أيضا • ومن هـذه المراكز مدينة نبته ، على سفح جبل البركل ، والكوة ، شرقى دنقلا ، وأرقـو وكانت جميعها مراكز حضر دائمة تعتمد أساسا على الزراعة والنيل • وقد نمت كل هذه المدن حول المعابد التى بنيت على الطراز الفرعونى السائد وقتها • وتشمل كل مدينة ، بجانب المعبد وملحقاته ، مناطق لسكنى الأهلين وخدمة المعابد وكهنتها ، بالإضافة إلى مقبرة كبيرة ملحقة بها • ويرجع تاريخ أغلب هـذه المدن إلى أزمنة سابقة للعهد المروى ، إبان إمتداد حكم مصر الفرعونية على النوبة فى الألف الثانية قبل الميلاد ، كما هو واضح فى الكوة وفى نبتة مثلا • فهى مراكز حضر ثابتة ذات تاريخ عـريق ، قامت فيها حضـارات متعددة خلفت بها مـن الرواسب الحضارية الكثير حتى غدت هذه المدن ، من كثرة وتعدد قيام هذه الحضارات، ذات شخصية مميزة أهم خواصها إستمرار التقليد الحضارى ذى الأصـول المتعددة ــ سواء أكانت أصول فرعونية مستجلبة أم أصول محلية مختلفة •

وأما منطقة البطانة فيرجع تعميرها وإستيطانها إلى الفترة المروية ، كما هو واضح من النتائج الأولية لحفريات مصورات الصفرة وغيرها • فالمصورات هذه صارت مركزا دينيا هاما يضم نوعا معينا مـن المعابـد المتطورة محليا ،

١ ــ انظر تقرير بلملى فى مجلة الآثار المصرية الاعداد ٥٠ ، ٥٢ و ٥٣ .
٢ ــ ميلت فى مجلة المركز الامريكى للدراسات المصرية الاعداد ٢ ، ٣ ، ٥ .
٣ ــ وولى ومك ايفر ــ كرنج .
٤ ــ مخالوسكى ، الحفريات البولندية بفرس « جزءان » .
٥ ــ آدامز فى مجلة كوش العدد ١٣ .
٦ ــ بروس تريفر ، التاريخ والاستيطان بالنوبة السفلى ، صفحة ١٢٠ ــ ١٣٠ .

والتى يمكن أن تسمى بمعابد الأسد ، كتمييز لها من المعابد الفرعونية ، والتى قد يرجع تاريخها إلى القرن السابع أو السادس قبل الميلاد ، وربما قبلهما بقليل (١) • والمعبود الرئيسى الذى بنى من أجله هذا المعبد هو الإله المروى « أبدِمَك » (٢) • ويرمز له بالأسد ، وكانت المنطقة إحدى مراكز عبادته الهامة إذ أنه من ضمن ماوصف به فى معبد الملك أرْتِخْأمَنى بأنه « أبدِمَك إله النقعة » (٣) • وفى خلال القرون التى تلت تحولت مصورات الصفرة إلى مركز دينى فى غاية من الأهمية ، ليس فى البطانة فحسب ، وإنما فى كل مملكة مروى على اتساعها ، حيث غدت كعبة للحجاج • أما النقعة ، مدينة الرب المختارة ، فقد أصبحت مدينة مترامية الأطراف ، تزينها المعابد الشامخة ، والمنازل والقصور الجميلة • وألحقت بها مقبرتان كبيرتان وحفيران لتخزين المياه وعدة آبار • وهكذا تحولت إلى مدينة حضرية بها تجمعات سكنية ثابتة (٤) • وقد واكب هذا التصور الإستيطانى توسع فى الإستيطان إمتد وشمل مواقع أخرى ، حظيت بعناية خاصة ، منها أم أسودة ، والجِهِيد ، والبَعنصة والمُرَبّعة وغيرها • ويبدو أن حركة إستيطان البطانة قد إمتدت إلى أغلب أجزائها وخاصة الأجزاء الغربية الشمالية منها • هذا وسوف نحاول هنا إلقاء بعض الضوء لتحليل الصفات المميزة لإستيطان المرويين لأرض البطانة•

* * *

تنقسم أرض البطانة جغرافيا إلى ثلاث مناطق مميزة • فالأولى تقع على الضفة الشرقية لنهر النيل ، وتمتد من ملتقى نهر العطبرة والنيل وحتى « مقرن » النيل الأبيض بالنيل الأزرق • وفى هذه المنطقة تنتهى وديان البطانة ، وتصب خيرانها ، وإليها تفد طرق مواصلاتها ومسالكها • وكان أثر ذلك واضحا فى قيام بعض المدن والحضر المروية ، مثال العاصمة مروى القديمة (الجراوية حاليا) ، ومدينة ود بانقا القديمة • وفى هذه المدن نجد أثر النيل

١ ــ أنظر بحث المؤلف ١٩٧١ صفحة ٢٢ ومابعدها .
٢ ــ لكل معبد اله رئيسى ويشاركه آلهة أخرى . ففى هذا المعبد المذكور الذى بنى فى أواسط القرن الثالث قبل الميلاد ، ظهرت آلهة اخرى كثيرة بجانب أبدمك ، منها سبوىمك وارنسنفر وآمن وحورس وخنوم وازيس وغيرهم الكثير. اشكر زميلى الدكتور عبد القادر محمود لمساعدته واقتراحاته فى كتابة هذه الاسماء صحيحة .
٣ ــ كما كان آمن اله نبته وكما نقول نحن مثلا « الشيخ الطيب راجل أمدرح » .
٤ ــ انظر بحث المؤلف ١٩٦٢ الخرطوم « لم ينشر بعد » .

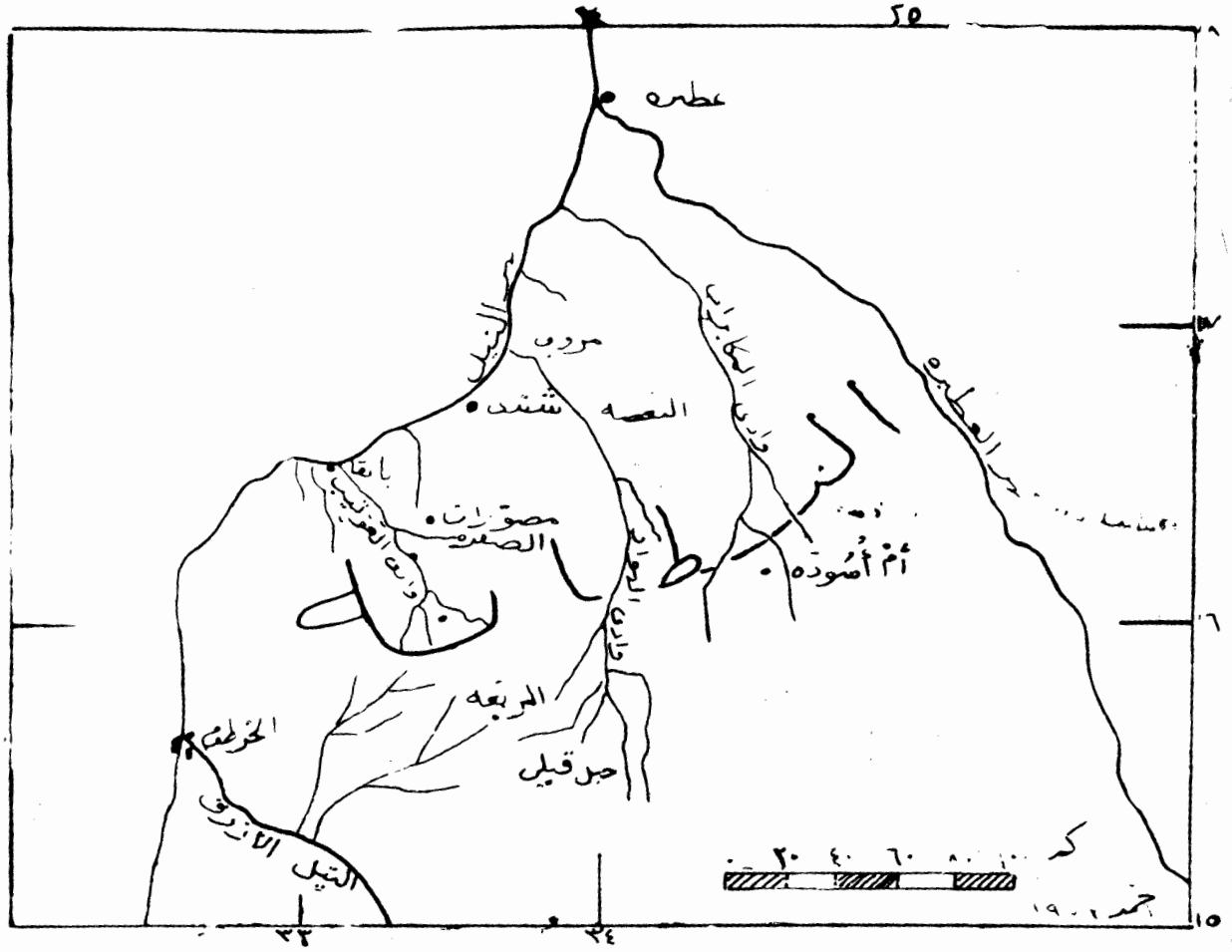

البطانة فى العهد المروى

خريطة رقم ١

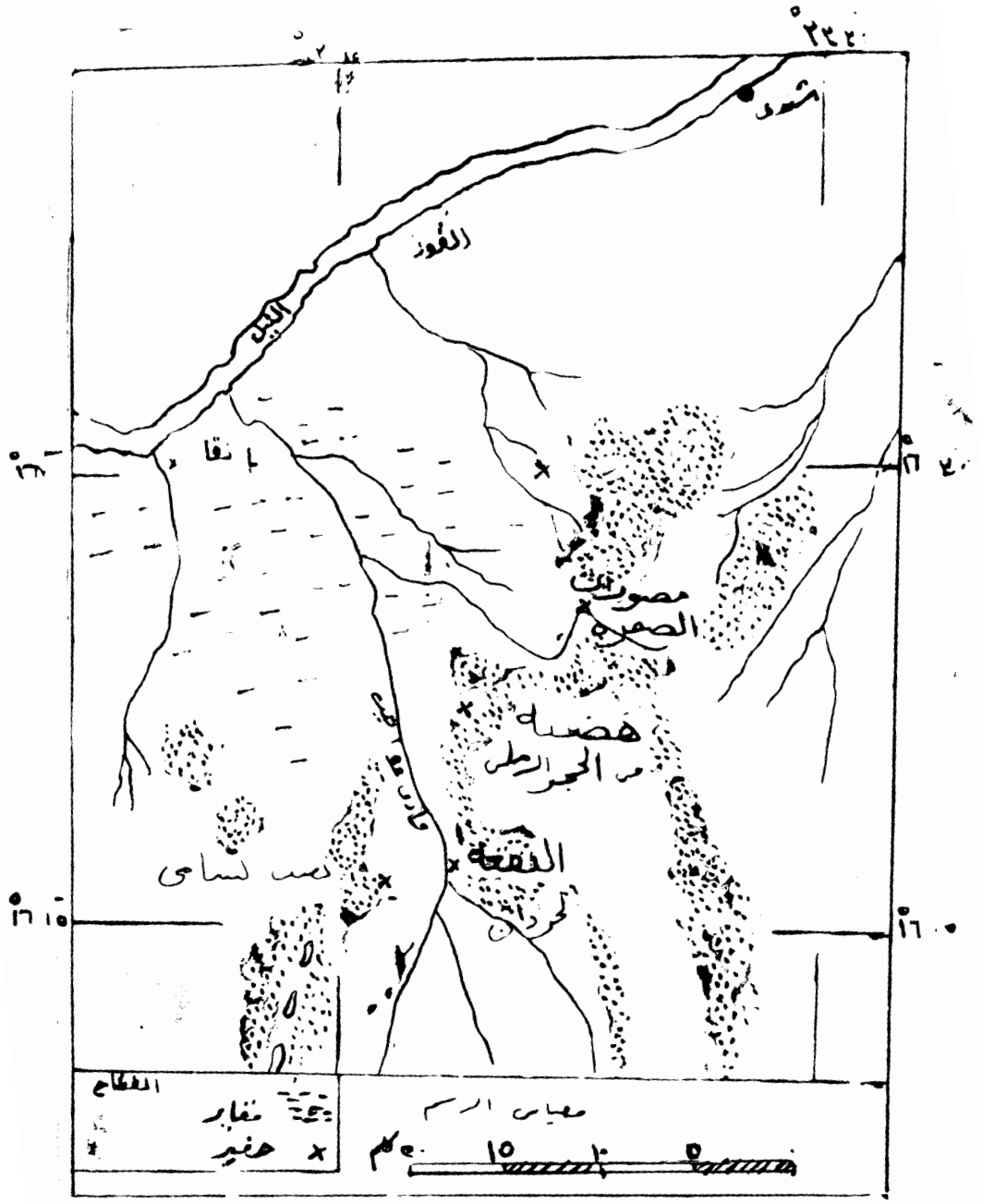

خريطة رقم ٢

وادى العواتيب

على طبيعة الإستيطان وتخطيطه وعلى قيام الحضر ومواقعها • أما المنطقة الثانية فهى منطقة السهل ، والتى تتكون عادة من طبقة متآكلة من الحجر الرملى والصخور الأخرى التى غطتها طبقات سميكة من الحصا الأحمر • وأهم ما يميز هذه المنطقة هو أن مياه أمطار الصيف وجدتها سهلة لتشق فيها مسايل المياه وفروع الخيران ومسالكها العديدة فى انحدارها تجاه النيل، فكثرت فيها الروابى الحصباوية • وهذه المنطقة قد تتسع أحيانا إتساعا كبيرا وقد تضيق أحيانا أخرى إلى أن تختفى تماما كما هو واضح فى منطقة جبل أم على مثلا • أما المنطقة الثالثة ، وهى الأهم بالنسبة لدراستنا هذه ، فهى منطقة الهضبة ، والتى قد تعلو أحيانا على شكل سلسلة جبلية ، تتكون غالبا من الأحجار الرملية • وقد ساعد هطول الأمطار الصيفية الغزيرة فى تكوين الوديان الخصبة الواسعة • فهناك أربعة وديان رئيسية تشق هذه المنطقة وتتجمع روافدها ومسايل مياهها عند سفح الهضبة العالية ، ثم تخترق السهل لتصب فى النيل • وهذه الوديان الأربعة هى وادى المكاباب ، وادى الهوّاد ، وادى البنات ووادى العواتيب• وتتمركز مناطق الإستيطان المروية ، موضوع هذه الدراسة ، فى القسمين الأخيرين ، أى منطقة السهل ومنطقة الوديان هذه (أنظر الخريطة رقم ١) •

★ ★ ★

الوحدة الإستيطانية التى نحاول تحليلها هنا بسيطة ومميزة لأرض البطانة • فهى تتكون عادة من معبد له حجرة واحدة وبالقرب منها حفير كبير لحفظ مياه الأمطار وربما بئر أحيانا • ويستثنى من ذلك المراكز الدينية المهمة، كالنقعة ومصورات الصفرة إذ بكل منهما حفيران وثمانية معابد على الأقل • هذا وهنالك عدة آبار بالنقعة بالإضافة إلى الحفيرين • أما بقية مواقع أرض البطانة فيسود فيها نمط الوحدة الإستيطانية الأول الذى أشرنا إليه سابقا • ومن أكثر الأشياء ملاحظة هو أن هذه الوحدة لا تتغير لامن حيث الشكل أو التكوين وأجزائه • وينطبق هذا الوضع حتى على المواقع التى تقع قرب مصادر المياه الدائمة كالنيل مثلا ، حيث لا توجد حاجة إلى الحفير • وخير مثال لذلك هو مدينة مروى القديمة العاصمة ومعبدها نمرة ٢٥٠ (وسمى خطأ

معبد الشمس) الذى قد بنى على حافة المدينة من جهة الشرق قرب أحد الخيران الصغيرة وبجانبه حفير كبير (١) ، وهو معبد من طراز معابد الأسد .

ويلاحظ أن الحفائر فى البطانة تقام على شكل دائرى أو هلالى ، وتشيد من التراب وذرات الحصا الصغيرة ، داخل حائط حاجز ومنخفض جداً من الحجارة أو الطوب الأحمر أو الأثنين معا . ويقام الحفير على حافة مجارى المياه «الخيران» ، وليس داخل مجرى الخور نفسه، كما يتصور البعض،بحيث أن يتجه مصبه إلى أعلى الربوة وليس إلى داخل مجرى الخور . وذلك حتى إذا ما نزلت الأمطار فى فصل الخريف امتلأت الخيران والأودية وفاضت لتمتلىء هذه الحفائر من فيضانها . هذا ونجد أن بعض هذه الحفائر كبير فى حجمه ، كحفائر مصورات الصفر ة والنقعة ، والبعصة ، وأم أسودة ، مما يقودنا إلى القول بإن تشييد مثل هذه الحفائر كان يتطلب توفر قوة كبيرة من الأيدى العاملة مع تنظيمها لتنفيذ مثل هذه الأعمال الإنشائية . ونلاحظ أنه متى ما انتهى عمل إنشاء الحفير لم تعد هناك حاجة للإبقاء على هذه القوة العاملة ، إذ لا تحتاج الحفائر بعد تشييدها إلى تنظيم وعمل دائمين ، سوى ما تتطلبه من أعمال الصيانة والترميم أحيانا ، وبعد فترة من السنين على إنشائها . وهذا بالطبع هو عكس الوضع فى الحياة الزراعية التى تعتمد على النيل وتتطلب تنظيما دائما ونشاطا سنويا لأعمال الزراعة والرى . وهكذا ، فنظام الحفائر يمكن إستغلاله بأقل مجهود من أعمال الصيانة وبتلك القوى العاملة المحلية التى تقوم بتشييده ثم يستغنى عنها بعد إنجازه . ولايخفى فإن الحفائر حتى وقتنا الحالى ، سواء فى أرض البطانة أو فى البيوضة أو مناطق دارفور وكردفان ، هى من خواص الرعاة والتجمعات البدوية .

بالقرب من كل حفير يقام « معبد الأسد » ، وهو مكون من حجرة واحدة فى الأصل ، قد تضاف إليها سلسلة من الأعمدة ، سواء من الداخل أو الخارج لتجميلها ، وأحيانا تزان جدرانها بصور المعبودات والملوك . وتقدم القرابين

---

١ ـ انظر بحث المؤلف سنة ١٩٧١ صفحة ٣٠٢ . كان هذا المعبد من أوائل المواقع التى حفرها جارستنج ولكنه لم ينشر نتائج حفرياته كاملة . وقد أجريت عليه دراسة مفصلة مما خلفه جارستنج من ملاحظات وصور ومن دراسة ميدانية أخرى قمت بها فى هذا المعبد .

إلى تمثال المعبود الرئيسى الذى يوجد داخل هذه الحجـرة • وبهذا تخالف هذه المعابد خلافا جذرياً مفهوم المعبد التقليدى العريق عند المصريين ، والذى كان قد ورثه سكان النيل فى منطقة دنقلا وكريمة (الكوة ونبتة) ، حيث كان المعبد يحتوى على سلسلة من الغرف والصـالات وبهو الأعمـدة ، ويغطى مساحة كبيرة (١) • ولاشك أن عدد الحجرات والأجـزاء الأخرى وتنظيمها وصلاتها ببعضها البعض يخضع لنظام الطقوس الدينية التى كانت تقام وفقـا للمعتقدات الدينية • فخارطة المعبد ما هى إلا ترجمـة معمارية لهذه الطقوس والمعتقدات الدينية الخاصة • وعليه فإن إختلاف معابـد الأسد عن معابـد أمون ناتج عن إختلاف فى العادات الطقسية المتبعة فى كل من أرض البطانة وبقية أجزاء المملكة فى منطقة دنقلا مثلا • فالأخيرة أصلها فرعونى موروث ضمن المؤثرات الحضارية الأخرى التى أخذتها النوبة عن الحضـارة المصرية (٢) • أما الأولى فإنها ترجع إلى أصول محلية أوجبتها طبيعة الحيـاة والحضـارة المحلية بمنطقة البطانـة • فهى بسيطة كبساطة حيـاة البدوى التى لا تتسم بالتعقيدات الطقسية• غير أنه رغم هذا التباين الواضح نلاحظ تزاوجا وامتزاجا تامين بين التقليدين دون تعارض بينهما • فقد إستعان التقليد المحلى فى البطانة بمنجزات التقليد المصرى ، وخاصة فى فن المعمار وما يتصل به من فن النحت وخلافه (٣) •

ومن الناحية الفنية المعمارية ، يلاحظ أن المعابد بالبطانة تتنوع أشكالها وتتباين فى كثير من الوجوه ، وتعكس تطورات محلية ، مما يدل على أنها تتاج تقليد عريق فى فن صناعة البناء • ومن جهة أخـرى ، فإن وجـود مبان ذات تصميمات دخيلة مجلوبة من خارج المنطقـة ، كما هو واضح فى بعض مبانى مصورات الصفرة والنقعة ، والتى تعكس ثقافة فنية عالية ومهارة صناعية فى التصميم والتشييد ، كلها تشير إلى أنها جاءت من مراكز حضارية عريقة فى فن

---

١ ـ قارن معبد آمون ـ رع بجبل البركل « نبته » أو معبد الكوة ومعبد أمون بمروى القديمة « البجراوية حاليا » .

٢ ـ نفس المرجـع السابق . كذلك بحث المؤلف نفسه فى وقائع الجمعية الفلسفيـة السودانية يوليه ١٩٧٢ « تحت الطبع »

٣ ـ هذه الملاحظة ومايصاحبها من استنتاج تطابق ما وصل اليه الدكور عبد القـادر محمود من دراسته للغة المروية والخط المـروى .

البناء ، مثل تلك المراكز الحضارية الراسخة على شاطىء النيل فى دنقلا وكريمه والبجراوية • فإذا قارنا هذا الفن المعمارى المتقن الصنعة بالمبانى الجنائزية وأشكال المقابر الموجودة بأرض البطانة ، والتى لاشك فى أنها تمثل فعلا تقليدا محليا خالصا ، فإننا نشاهد الفرق الشاسع فى التكنولوجية المعمارية بين التقليديين الجنائزى والمعمارى الدينى • وهذا يدعونا للقول بأننا أمام نتاج ثقافتين وتقليدين منفصلين ــ تقليد البطانة البدوى الذى لا يملك مقومات فن البناء المتقدم ، وتقليد نيلى متطور عريق ، أتقن بواسطة مراكز الحضر النيلية ، وزرع زرعا وسط مجمعات البطانة الإستيطانية • وبمعنى آخر فإن سكان البطانة ليس لهم تقليد فى بناء تجمعات سكنية ثابتة كما هو الحال على النيل •

ويؤيد ماذهبت إليه هنا ملاحظة هامة ، ألا وهى ، أن من أهم مميزات المواقع الأثرية قرب النيل هو وجود طبقات سميكة من الأوساخ وبقايا السكن المستمر فى موقع واحد على مر السنين • ومروى القديمة (البجراوية حاليا) خير مثال لذلك حيث عثرتُ على طبقات يتراوح سمكها ما بين عشرة وخمسة عشر مترا (١) • أما فى مواقع أرض البطانة فإن من العلامات المميزة إختفاء وجود مثل هذه الطبقات فى البعصة مثلا ، وكما وضحت كذلك جليا فى حفريات مصورات الصفرة الأخيرة (٢) • وربما كانت من الأسباب الواضحة لذلك ندرة المنازل والتى قد تنعدم أحيانا ، وندرة مبانى سكن الأهالى بخلاف التى تتبع المعابد ، وعدم العثور على دلائل تشير فعلا إلى وجود سكن دائم ، بشكل أو بآخر ، كان يمكن مقارنته بحجم المبانى الدينية وأهميتها لنستدل بها على حياة الإستقرار •

ويمكننا القول بإن الإستثناء الوحيد لهذا الوضع هو مدينة النقعة ؛ فهى فوق أنها تضم معبدا واحدا على الأقل للإله آمون ، بنى على الطراز الفرعونى التقليدى ، لقد كان أن أصبح هذا الموقع مدينة كاملة بها مبانى

---

١ ــ التقرير الاولى لحفريات جامعة الخرطوم لمدينة مروى القديمة سنوات ١٩٦٦ ــ ١٩٧٠ فى مجلة كوش العدد ١٥ « تحت الطبع » .

٢ ــ هنتزا : حفريات مصورات الصفرة فى مجلة كوش العدد ١٠ والعدد ١١ والعدد ١٥ « تحت الطبع »

Hintze, F. "Einige neue Ergebnisse der. Ausgrabungen Im Musawarat es Sofra" in ed. Dinkler: Kunst und Geschischte Nubien, 1970.

سكنية مستديمة للأهلين بجانب المعابد ، وبها مقابر ، كما هو الحال فى بقية المدن المروية الواقعة على شاطىء النيل • ويمكننا أن نستخلص من معلوماتنا هذه عن النقعة (١) أنها ربما بدأت كبقية المواقع الأخـرى فى أرض البطانة تحمل نفس السمات المميزة لها ، ولكنها إكتسبت بعامل الزمن بعض المزايا التى جعلتها تتطور إلى مدينة بها مساكن دائمة ، ومأهولة بسكان مستقرين كبقية حضر النيل • فالمعابد الظاهرة الآن يمكن أن نرجـع أغلبها إلى القرنين الثانى والأول قبل الميلاد ، وقليل منها بعد الميلاد • بينما نعـرف أنها ذكرت كمركز دينى للإله أبِـدِ مَك فى منتصف القرن الثالث قبل الميلاد (٢) • ومن الواضح أنها كانت موجودة قبـل ذلك التاريخ (٣) •

رغم ذلك ، فالنقعة تشارك بقية المواقع الأخرى فى أرض البطانة فى ظاهرة عدم وجود أى أثر لتحصينات أو مشيدات دفاعية أخـرى • فحماية المـدن والمجمعات الإستيطانية من خطر الحرب وغـزو الجيوش لم يلعب أى دور فى تكوين هذه المجمعات أو التأثير على قيامها • ومن خواص إستيطان البطانة أن مواقعها مبعثرة على أبعاد شاسعة • ولابد أنها كانت مواقـع صـغيرة من الناحية العددية ومن حيث الأهمية العسكرية السياسية مما لم يستوجب معه حمايتها من خطر الحرب والغزو • كما أنه ربما كان عدم وجـود مثـل ذلك الخطر أو توقعه قد أثر فى إستبعاد تحصينها • اقول ذلك ، ونحن نعرف أن المرويين عرفوا التحصينات وإقامة الإستحكامات حول المدن قبل ذلك ، إذ أنهم إستطاعوا التغلب على المدن الحصينة التى ثارت عليهم أو ناوأتهم • كما وأنهم بنوا القلاع والحصون ويشهد بذلك زمن حكمهم لمصر وتدخلهم فى الصراع العالمى فى الشرق الأوسط فى القرن السـابع قبـل الميلاد • وعليه فغيـاب الإستحكامات والحصون حول مواقع السكن والمدن ، لم يكن جهـلا منهم بهذا التكتيك الدفاعى فى الحرب ، ولكن من المرجـح به أنه كان شيئا أملته طبيعة المنطقة وساكنيها وطريقـة إستيطانها •

---

١ ـ المؤلف سنة ١٩٦٤ .
٢ ـ هنتزا : المراجع السابقة .
٣ ـ المؤلف سنة ١٩٧١ صفحة ٢١٧ الى ٢٢٦ .

ويطابق ماذهبنا إليه ما يمكن أن نستخلصه من دراسة توزيع المقابر فى هذه المنطقة • فعلى طول السهل الممتد مابين وادى الكربكان ووادى العواتيب إستطعتُ تسجيل العديد من المقابر المنتشرة ، وكل مقبرة منها تتفاوت ما بين قبر واحد إلى قبور عديدة وصلت فى واحدة منها إلى مايربـو على الخمسـين قبرا ، مقامة فوق الروابى • وعين كل قبر بواسطة كومة من الحجارة أو من الحصا والتراب • وأمثال هذه المقابر منتشرة على روابى السهل وعلى جانبى بقية الوديان والخيران وفروعها التى تتخلل منطقة السهل هـذه (١) • ومن الأشياء الواضحة أنه لاتوجد أى دلالة على وجود مقابر على شكل إهرامات فى طول منطقة البطانة خارج مدينة مروى العاصمة القديمة • وهذا يعكس ماهو متبع فى بقية أجزاء المملكة الشمالية ، وخاصة النوبة السفلى ، شمالى الشلال الثانى ، حيث يمكن أن نقول إن شكل الهـرم هو الصـفة الغالبة على أنواع القبور العامة فى زمن المرويين • كما يلاحظ على أنها توجـد فى مجموعـات كبيرة تبلغ فى كثير من الأحيان عدة مئات بل آلاف (٢) ، وأنها تقع عادة قرب النهر وبالقرب من المدن والقرى المروية حيث توجد المعابد ومراكز الديانة • فمواقع المدافن هنا كانت نتيجة لإرتباط الساكنين بمكان واحد معين ، وهو محـل السكن الدائم المستقـر •

أما فى أرض البطانة ، فوجود المداخن بها بعيدة عن المعابد يشـير إلى أن غالبية السكان لم يكن لهم أى إرتباط وثيق بموقع واحد محدد وإنما يدفن الميت فى أى مكان توفى • وهذا ماتدل عليه صـغر المقابر وتوزيعهـا المنتشر المتباعد على طول المنطقة • وإذا تمعنا فى هذا التوزيع جيدا نلاحظ أنه يخضع لمواقع المراعى أكثر من مواقع مصادر المياه الدائمة ــ أى الحفـير والعـد ــ وبالتالى المعبـد •

يتضح مما سبق أن طبيعة الإستيطان فى أرض البطانة لها صفات واضحة تنطبق عليها كل صفات البداوة • فعدم الإرتباط بمستقر واحد دائم وتكييف

١ ــ انظر المؤلف ١٩٧١ ، صفحة ٣٤٨ .
٢ ــ انظر مقبرة صنم ابودوم فى مروى الحالية ، شرق جبل البركل . جـريفث ١٩٢٢ صفحة ٢٧ . كذلك مقبرة فرس ، جريفث ١٩٢٤ صفحة ١١٥ و ١٩٢٥ صفحة ٥٧ و١٩٢٩ صفحة ١٧ وكرنج وولى ومك ايفر ١٩١١ .

الإستيطان بواسطة المرعى والإعتماد على مصادر المياه الموسمية كلها تدل على أن ساكنى البطانة فى العهد المروى كانوا بدواً رحـلا يعتمدون على الرعى والإنتقال • رغم ذلك فهناك عوامل كثيرة تساعد وتشجع على وجود نوع من الإستقرار النسبى • فوجود مصادر المياه الدائمة ــ الحفائر والآبـار ــ فى مواقع مختارة حوّل هذه المواقع إلى مراكز تجمع يؤمها الناس ، خاصـة فى فصل الجفاف ؛ وبالتالى حدد تحركات السكان فى نطاق مسافات قريبة لاتبعد كثيراً عن موارد المياه • وبإنشاء هذه الحفائر وتعددها أمكن إمتداد الإستيطان الذى شمل أغلب أجزاء البطانة التى يمكن أن تستغل لصالح المرعى • وكما هو واضح فإن الحفير فوق أنه يعتمد على مياه الأمطار ووفرة هطولها سنويا ، فإن طاقته محدودة لاتفى إلا بحاجة عدد محدود من السـكان • وعليه فإن الإمتداد الإستيطانى والتوسع السكانى الذى نعنيه هنا لم يكن توسعا رأسيا ــ بمعنى توسع الوحدة الإستيطانية ونمو حجمها ــ وإنما كان توسعا أفقيا ، بمعنى أن الوحدات الإستيطانية قد زادت من حيث العـدد فقامت وحـدات منفصلة فى أماكن متعددة أخرى • وكان لكل وحدة إستيطانية حدودها وطاقتها المحدودة ، حتى إذا ما تعدتها إنتقل الفائض منها إلى إنشاء وحـدة جديـدة أخرى • ولاشك أن هذا النظام كان له أكبر الأثر فى الحفاظ على الموازنة بين المعطيات الطبيعية والنمو الإستيطانى مما سهل عملية تعمـير البطانة من ناحية والحفاظ على بقاء هذا النظام مدة طويلة من ناحية أخرى ، هى طـوال مدة حكم مملكة مروى (١) • وهذا يقوى الحجة القائلة بإن هـذا الوضـع كان محكوما بنظام دقيق وإدارة مركزية قوية •

وكانت الأهمية الدينية من العوامل التى سـاعدت على تركيـز الحالة الإستيطانية هذه والحفاظ عليها • فقد كانت المعابد مراكز تجمـع إستيطانية تفرض نفوذها وقوتها على غيرها من المناطق • ومما لاشك فيه أنه من خـلال مثل تلك المؤسسات كانت السلطة المركزية تفرض أقسى قوتها وسلطانها على رعاياها • فعلى جدران هذه المعابد رسمت الأسرة المالكة كالشخصية الرئيسية الوحيدة التى تقوم بتقديم القرابين والطقوس الأخرى أمام آلهة البطانة ؛ كما

١ ــ انظر الهامش على صفحة ٨٤ .

كان بقية أفراد الأسرة الآخرين يكونون خدمة الآلهه وكهنة المعابد الرئيسيين (١) • وفوق كل ذلك فإن المعبد والحفير قد بنيا بإسم الملك الحاكم وهكذا فقد إستطاعت السلطة المركزية من خلال هذه المؤسسات الدينية السياسية أن تفرض سلطانها على مناطق تجمع السكان ، خاصة فى فصل الجفاف حيث يفد الرحل إلى تلك المناطق طلباً للماء من ناحية ، وإشباعا لروحهم الدينى من الناحية الأخرى • ويمكننا أن نفترض أن ذلك النظام ظل معمولا به طيلة الفترة التى كانت فيها السلطة المركزية باقية قوية متماسكة ، ونظام الملك المروى بقى مستمرا قويا • كل ذلك ساعد فى إرساء دعائم النظام الإستيطانى وإستمراره بوجه خاص بأرض البطانة•

والخلاصة هى أن المواقع القديمة والتى يمكن إرجاعها إلى الفترة المروية بأرض البطانة كانت مراكز دائمة لسكان يمكن أن يوصفوا بأنهم كانوا رعاة شبه بدويين • وواضح أنه لاتوجد تغييرات جذرية فى الحالة الإستيطانية العامة ــ أى أنه لاتوجد تغييرات سواء بالنسبة للوحدات وتكوينها أو بالنسبة لشكل الوحدة ومقوماتها • فالحفير والمعبد لم تحدث لهما أى تغييرات أساسية • كل ذلك يثبت أن المجموعة الحضارية التى سكنت هذه المنطقة إستمرت بلا تغييرات حضارية هامة سوى مايتطلبه النمو والتطور الطبيعى • ولقد كانت البطانة وحدة متآلفة حضاريا مع بقية مملكة مروى والتى نجد مراكزها الأخرى على النيل • وهكذا فقد إعتمدت البطانة على النيل فى القيادة السياسية حيث تمركزت السلطة السياسية فى الملك وبلاطه بمدينة مروى وغيرها • كذلك كانت مواقع النيل مراكز تجارية تمتص فائض الإقتصاد فى أرض البطانة • وفوق كل ذلك فقد أمد حضر وادى النيل البطانة بفن البناء وصناعته • وفى نفس الوقت ، فقد كانت بأرض البطانة أهم المراكز الدينية ليس فى المنطقة فحسب وإنما فى المملكة كلها ، فأمدت بذلك السلطة المركزية والملك بالقوة السياسية العسكرية والقوة الإقتصادية التى تتمثل فى المراعى وثروتها الحيوانية •

١ ــ مثلا الامير أرقا الذى كان كاهنا لايزيس فى معبد الاسد بمصورات الصفرة . انظر هنتزا ١٩٦٤ .

المراجـــع :

Adams, W. Y. "Antiquities service excavation at Meinarti" in Khush 13.

Ali. Hakem, A.M., Naga in the Meroitic times. Unpublished dissertation in the Department of History, University of Khartoum, 1962.

Ali Hakem, A.M., "Meroitic settlement Pattern of the Butana" in *Piggot and Ucko : Man, Enviironment and Urbanism,* London, 1970, P. 639—41.

Ali Hakem, A.M. Origin and development of Meroitic Architecture. A dissertation submitted and accepted by the University of Cambridge, July 1971, for the Doctor of Philosophy Degree.

Ali Hakem, A.M. "The city of Meroe". In proceedings of the philosophical Society of the Sudan 1972, P. 30—42.

Griffith, Ll. "Oxford Excavation in Nubia". In *Liverpool Annuals of Archaeology and Anthropology.*

Hintze, F. "Musawarat es Sofra". In Kush 10, 11, 15.
Einige neue Ergebnisse der Ausgrabungen ..... im Musawarat es Sofra" in ed. Dinkler : Kunst und Ceschischite Nubien 1970.

Michalowski, K. Faras I and Faras II Warsaw 1962 and 1965.

Millet, N. Gebel Adda. *In Journal of American Research Centre in Egypt.*

Plumley, J. M. "Qasr Ibrim" *In Journal of Egyptian archaeology* 50—53.

Shinnie, P. L. "University of Khartoum Excavation at Meroe", in *Kush* 15.

Trigger, B. History and settlement in Lower Nubia, USA, 1965.

Woolley, L. Karanog. The Town.

Woolley and Randal-MacIver, Karanog. The Romano — Nubian Cemetery.